سهام صبري



زهرة الحركة الطلابية

جيل السبعينيات

المحرر: فتحي إمبابي

عن : سهام صبري

زهرة الحركة الطلابية المصرية

جيل السبعينات

لجان أنصار الثورة الفلسطينية

في الجامعات المصرية

لمحات من حياة سهام

نبيل صبرى

ليست هذه السطور تمجيدا لشخص، ولكنها إحياء لذكرى الحركة الوطنية متمثلة فى أحد رموزها. إن الشعب المصرى العظيم قد استطاع على مدى العصور أن يعبر عن معدنه الأصيل بمشاركته الفعالة فى حركات التحرر فى المنطقة وبكونه أحد أهم محركيها فى العالم. لم تنته الحركة الوطنية بنهاية الاحتلال الإنجليزى فى أعقاب يوليو عام ١٩٥٢. بل استمرت متمثلة فى كفاح شعبنا الباسل فى بورسعيد أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وغيرها من المعارك الوطنية وعلى رأسها صموده فى محنة النكسة فى ١٩٦٧، ورفضه الإذعان لما كان يمكن أن تمليه موازين القوى الظاهرية فى ذلك الوقت.

ولم تكن الحركة الطلابية في بداية السبعينيات إلا حلقة في تلك السلسلة، وكان لها بلا شك دور بالغ في شحذ الهمم لتحقيق نصر أكتوبر. إن الصراع بين قوى التحرر وقوى البغى يمتد ضاربا جذوره منذ القدم وصابغا للحضارة الإنسانية كأحد أهم قضاياها، وسيمتد بالتأكيد لأجيال قادمة. قد يحتل الصدارة في بعض العصور وقد يخفت أحيانا كما حدث في مصر وفي العالم أجمع في نهاية القرن العشرين. لقد شجع ذلك إحدي الدول التي أصابها غرور القوة لكي تسعى للسيطرة على العالم واهمة أنها تستطيع أن "تنهى التاريخ" وتقضى على حضارات امتدت لآلاف السنين. لا تستطيع الطغمة الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية أن تدرك أنها بذلك قد بثت روحا جديدة فى أوصال حركات التحرر. إن طلاب مصر اليوم على سبيل المثال والذين أغرقوا كغيرهم من الشباب فى العالم منذ عدة عقود بالدعاية الأمريكية الداعية للاستسلام لمنطق القوة، هؤلاء الطلاب أبناء شعب مصر الأصيل

تفـــاعلوا تلقائـــيا مــــع الانتفاضــــة الفلســـطينية وانطلقـــت حـــناجرهم وقلوبهـــم فـــي وقت اعتقد فيه الجميع أن الحركة الوطنـــية قـــد ماتـــت. ولذلك فإن غاية ما أتمناه أن تمنح تلك الســطور الأمــل للأجــيال القادمة، فالحركة الوطنية لم ولن ينطفئ نورها.

سأتناول في هذه السطور بعض الجوانب من شخصية أحـــد رموز الحركة الوطنية الطلابية في بداية السبعينات وهى أخـــتى الكبرى سهام صبرى وأتوجه بالشكر للزملاء الوطنيين الذيـــن قـــاموا بجهد كبير لإخراج ذلك العمل والذين أترك لهم تـــناول الدور السياسي لسهام في الحركة الطلابية. سأركز فى المقـــابل على بعض الجوانب الإنسانية التى قد تساعدنا فى فهم شخصـــية سهام والدوافع التي أدت بها للقيام بذلك الدور. أؤكد مـــرة أخـــرى أن هـــذا العمل هو أساسا إحياء لذكرى الحركة الوطنـــية ولـــيس إحـــياء لذكرى شخص. هذا هو ما أعتقد أنه أفضـــل هديـــة نقدمهـــا لسهام والتى لم تعبأ كثيرا بنفسها قدر اهتمامها بالناس.

الميلاد

ولـــدت سهام في الحادى عشر من يونيو عام ١٩٥١. كانـــت المولود الأول الذى ترزق به أسرة مكونة من أب وأم كان لكل منهما دور فى تكوين شخصيتها.

في البداية أقامت الأسرة فى منزل الجد اللواء محمد باشا صبرى فى حي السيدة زينب، الذى كان يعد بمثابة بيت العائلة، ثم ما لبثت الأسرة أن انتقلت إلى مصر الجديدة فى وقت مبكر وكـــنا لا نزال أطفالا . ولكن ارتباط الوالد المستمر بالأقارب الذين آثروا البقاء فى منزل العائلة كان له دور فى تفتيح ذهننا علـــى تـــنوع الشخصـــية المصرية بين حى السيدة زينب ذى الطابع الإسلامي الأصيل وحي مصر الجديدة المتنوع الثقافات والأديـــان والأجـــناس. إن هذا التنوع الثقافى كان بلا شك أحد أسباب تأهيل سهام للدور الذى قامت به مستقبلا.



سهام فى عمر عام

الأب

كان الأب ضابطا شابا فى القوات المسلحة حين ولدت سهام. كان مثالا للشاب الطموح المتفانى فى عمله لدرجة العبادة. لم يكن تفانيه فى عمله يترك له أى وقت للأسرة، كما كان يفرض عليه السفر المستمر. ولكن تأثير أى أب أو أم فى تربية الأولاد هو تأثير محورى سواء سعى لذلك بصورة مباشرة أم لا. فالطفل يتأثر سلبا أو إيجابا بأنماط الشخصيات التى تحيط به وبالأخص الآباء. إن إيمان الأب الراسخ بأن ما يفعله هو ما يحتاجه الناس وتفانيه فيه وسعيه الدءوب للإجادة كان أول درس لنا فى الالتزام وفى الوطنية بمعناها العام. لقد واكب ذلك أيضا عهد عبد الناصر الذى آمن به الأب كما آمن به غالبية المصريين فى ذلك الوقت، ولذلك كان الارتباط بالوطنية بمعناها الخاص أو السياسى أمرا طبيعيا. بالرغم من أن الوالد كان يرفض الانضمام للتكتلات ومراكز القوى (حيث إنه كان يكره "السياسة" كما يقول) إلا أنه تدرج ليحصل على رتبة لواء فى زمن قياسي ويتقلد أعلى وسام عسكرى وهو نجمة الشرف وليشغل منصب رئيس هيئة التفتيش على القوات المسلحة برا وبحرا وجوا، وكل ذلك بسبب المهنية العالية التى تحلى بها والتى ساعدته على الترقى مهما تغيرت الظروف السياسية وتقلبت الأوضاع والقيادات سواء فى بداية عهد عبد الناصر أثناء قيادة المشير عبد الحكيم عامر للقوات المسلحة أو بعد نكسة ٦٧ ورحيل المشير عامر وتولى قيادات جديدة فى

نهايـــة عهـــد عـــبد الناصر عكفت على إعداد الجيش لتحرير الأرض المحتلة واستمر ذلك فى بداية عهد السادات.

إن تلـــك التفاصـــيل وثـــيقة الصـــلة بســـهام حيث إن حساســـية مهمـــته فـــى الجـــيش جعلـــته يـــتخذ موقفا عدائيا صـــريحا مـــن انخـــراط سهام فى الحركة الطلابية. كيف له وقـــد ربانـــا علـــى الوطنـــية صغارا أن ينكر علينا الاهتمام بهـــا كـــبارا؟ لقـــد شـــارك فى جميع الحروب التى خاضتها مصـــر مـــنذ حـــرب ١٩٤٨ وحتى تقاعده بعد حرب أكتوبر ٧٣. ولقـــد عرفـــت مـــن زملائـه بعد وفاته ما أخفاه عنا فى تلـــك الفـــترة (أقصـــد أثناء اندلاع الحركة الطلابية فى أوائل الســـبعينات) مـــن أنـــه لـــم يـــتردد فى المخاطرة بحياته فى كثـــير مـــن المـــرات أثـــناء حرب الاستنزاف، لتحقيق بعض الإنجـــازات الـــتى ســـاعدت فـــى التحضـــير لنصر أكتوبر. لعلـــه أخفـــى هـــذه المعلومات خشية أن نتمادى فى انخراطنا فـــى الحـــركة الطلابـــية أو ببساطة لكونها أسرارا عسكرية. تفســـير ذلـــك التـــناقض الظاهـــرى أنه كان يعتقد أن السياسة مجـــرد "كـــلام" وأن الشـــيء الوحـــيد المجـــدى هـــو إعداد الجـــيش لـــتحرير الأرض، وهـــو مـــا كـــرس له حياته بكل أمانـــة. وفـــى ظـــل يقيـــنه بأن الحرب آتية، واعتقاده كرجل عســـكرى بـــأن اســـتقرار الأوضاع الداخلية ووقوف الشعب موقفـــا موحـــدا خلـــف القـــوات المسلحة هو من ضرورات

تحقيق النصر، في ظل ذلك كان الاختلاف في الرؤى طبيعيا. فلقد رأت أغلبية الشعب المصري آنئذ في سياسات السادات تميعا وتهربا من قرار الحرب، خاصة بعد خطاب "الضباب" الشهير الذي حاول أن يبرر فيه بحجج واهية عدم وفائه بوعده بحسم قضية اغتصاب إسرائيل للأراضي العربية. وشعرت غالبية الشعب أن مجمل سياساته الوطنية والاجتماعية والسياسية لا تصب في صالح تحرير الوطن. أما ما لم يدركه الأب فهو أن سهام تعشق التحدي وأن معاداته لتوجهاتها لم يزدها إلا إصرارا على موصلة الكفاح، ليس فقط لتحرير الأرض ولكن أيضا لتحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية. ولقد ساهمت الحركة الطلابية بالفعل في جعل خيار خوض الحرب لتحرير الأرض خيارا لا مناص منه. إن الخلاف بين الوالد وبين سهام والذي امتد لسنوات طويلة ليس بالمرة كما اعتقد البعض خلافا سياسيا أو وطنيا، ولكنه خلاف طبيعة شخصية بين والد مشبع بالحياة العسكرية أبا عن جد، حيث يمتد سجل الأسرة العسكري لسابع جد كما كان يفخر دائما ويقول إنهم تقلدوا أعلى المناصب في العسكرية ، وبين سهام التي خلقت من أجل الثورة على كافة القيود التي يمكن أن تمنع الإنسان من أن يكون إنسانا، أي أن يكون حرا لا يعرف من دافع أو من قيد سوى حب الناس.



اللواء محمد باشا صبرى

الجد



سعد الدين صبرى

الكلية الحربية



الأب مع عبد الناصر



لواء سعد الدين صبرى

رئيس هيئة التفتيش بالقوات المسلحة



الأميرالاى إسماعيل بك كامل



الأم جليلة كامل



الأم بين أولادها



سهام تتوسط الأب والأم

الأم

أمـــا الأم فقــد كانـــت شـــابة صغيرة تكاد تخرج من مـــرحلة الطفولـــة حيـــن تزوجـــت، مثل الكثير من الزوجات فـــى ذلـــك الوقـــت. لقـــد فـــرض عليها غياب الزوج فترات طويلـــة أن تـــتولى مســـئوليات الأســـرة، مـــن تربية الأولاد وإدارة المـــنزل بصـــورة كبـــيرة ممـــا أجبرها على الانقطاع عـــن التعلـــيم فـــى فـــترة الإنجاب الأولى لتعود بعد ذلك فى ظـــروف غايـــة فـــى الصعوبة ليس هناك مجال للخوض فيها وبكفـــاح مريـــر لمواصـــلة التعلـــيم للحصـــول على ليسانس آداب لغـــة إنجلـــيزية ثـــم مواصـــلة الدراسات العليا وهو ما مـــثل تحديـــا بكـــل المقايـــيس. لقـــد أثـــر حـــب الأم للغة الإنجلـــيزية أدبـــا وشـــعرا وثقافـــتها الواســـعة بصورة كبيرة علـــى ســـهام نظـــرا لحساســـيتها الفنـــية العالية. ولكن الأثر الأكـــبر كـــان فـــى تحمـــل الأم المـــبكر للمسئولية. لقد عزز ذلـــك شخصـــية الأم القـــيادية الـــتى تحلـــت بهـــا منذ نعومة أظفارهـــا. لعـــل أفضـــل مـــا يقـــال عنها هو ما كان يردده الأب ضـــاحكا حيـــنما كـــان يداعـــبها مـــن أنـــه "يحكم فى الجـــيش فـــرقة بأكملهـــا ولا يســـتطيع أن يحكـــم فـــى البيت امـــرأة واحـــدة !" ورغـــم ما فى ذلك من مبالغة، إلا أنه كان يعـــبر بدرجـــة كبـــيرة عـــن شخصية الأم القيادية التى جبلت علـــى تحـــدى كافـــة الظـــروف لكـــى تحقـــق الأهداف التى

حددتهـا لنفسـها. يكفـى أن نذكـر علـى سـبيل المثال لا الحصـر أنهـا فـى عـام ١٩٨١ لـم تتردد فى الانتقال مع مكتـب اليونسـكو الـذى كانـت تعمـل به فى القاهرة إلى بـيروت حيـث المقـر الجديـد للمكتب، وذلك قبل أن تنتقل بعـد ذلـك للمركـز الرئيسى لليونسكو فى باريس. التفصيل المهـم فـى تلـك القصة هو أن النقل إلي بيروت تم فى ظل اسـتعار الحـرب الأهلـية اللبنانـية. لقـد كانـت تكتب لنا بطـرافة عـن القـنابل الـتى تنفجر حولهم فى مكتب بيروت كاشـفة بذلـك عـن مصـدر الجـرأة والإقـدام التى عرفها الجميع عن سهام!

ومـن الجديـر بالذكـر أيضـا أنـه ليس صحيحا ما يعـتقده الـبعض مـن أن جدنـا لأمنا إسماعيل كامل ينتمى بصـلة قـرابة للزعـيم مصـطفى كامل، ولكن الصحيح أن الجـد كـان ضـابطا فـى الجـيش المصـرى وكان وفديا ووطنـيا وشـاعرا. وكـان لـه موقـف وطنى أثناء اندلاع المظاهـرات الـتى تفجـرت فـى مـارس عـام ١٩٢٢، احـتجاجا علـى مـا سمى بتصريح الاستقلال فى ٢٨ فبراير مـن نفـس العـام، واعتـبرته مصـر والقوى الوطنية غير كـاف . وحيـنما عجـزت الشرطة عن قمع تلك المظاهرات طلبـت الاسـتعانة بالجـيش، وكـان جدنـا لأمـنا هو قائد المجموعـة الـتى طلـب الاستعانة بها ولكنه رفض استعمال

الشـــدة مـــع الجماهـــير، ممـــا عرضـــه لمحاكمـــة عسكرية برئاســـة إنجلـــيزى وبعضـــوية أغلبـــية من الضباط الإنجليز وعوقـــب بالإحالـــة للاســـتيداع فترة قبل أن يعود مرة أخرى للجيش.

ألا نجـــد فـــى ذلـــك .. الـــبذور التى زرعها الوالدان فى سهام وكونت شخصيتها؟

الإخوة

مـــن الصعب على أن أرصد من زاويتى آثار شخصية الإخوة على سهام، أما أثر سهام على أخوتها فكان كبيرا نتيجة للحـــب المتبادل الذى جمع بيننا. لقد استخدم الزملاء الوطنيون لفـــظ "زهـــرة" الحـــركة الطلابية فى التأبين الذى نشروه فى الجرائد. هذا اللفظ الجميل يعبر بصدق عن مكانتها أيضا بيننا فى الأسرة . ومن الطريف أن الأم قالت إن هذا اللفظ كان أحد الأســـماء المرشـــحة لســـهام حيـــن ولادتها! ولكن لكى تكتمل الصـــورة، أذكـــر سريعا أن أخويها كانا ولدين . أحدهما نبيل كاتب هذه السطور ويصغرها بعامين والآخر أشرف ويصغرها بخمســـة أعوام. الأول لم يعادل اهتمامه بالمشاركة فى الحركة الوطنـــية ســـوى اهتمامه بالعلم. أما الثانى فبرغم صغر سنه أثـــناء الحركة الطلابية إلا أنه أبدى اهتماما كبيرا بها كما أنه كان له ذات الاهتمام بالعلم.



الإسكندرية صيف ١٩٥٧

المدرسة

ألحقــت الأســرة ســهام وإخوتها بمدرسة فرنسية منذ الحضــانة وحــتى الــثانوية العامة. لا يمكن إنكار أثر الثقافة الفرنســية والتى تعد أحد العلامات البارزة فى تاريخ الحضارة الإنســانية والــتى تتميز ليس فقط بالحس الفنى المرهف ولكن أيضــا بــروح الثورة التى تشع فى كل جوانبها. إن تأثر سهام بــتلك الــثقافة لا ينــتقص من مصريتها قط . وما الشخصية المصــرية إلا تلــك الــبوتقة التى صهرت مزيجا عبقريا من الحضــارة الفرعونــية والقبطــية والعربية الإسلامية وجميع حضارات البحر الأبيض المتوسط.

لقد كانت لسهام أنشطة واهتمامات متعددة فى المدرسة. كانت تهوى الرسم ولها أعمال كانت تبهرنى. وعلى الرغم من أنــنى لست ناقدا فنيا إلا أن موهبتها كانت واضحة. كما كانت عازفــة ماهرة على البيانو الذى تعلمته من أمها وبرعت فيه. أمــا الشعر فكانت تعشقه بكل اللغات ومن كل العصور. كثيرا مــا كانــت تكتــب أبيات تعجبها سواء من نظمها أو من نظم غيرها سواء من الشعر العربى أو العالمى على جدران غرفتها (ســواء فى لوحات أو مباشرة على الحائط!)، فيما يعد صورة مــبكرة من صور مجلات الحائط!. لا تسعفنى ذاكرتى لحصر

مــا كتبــت ولكننى أتذكر فقط قصائد لسميح القاسم أذكر منها مقتطفات مثل (ومعذرة إن خانتنى ذاكرتى):

"الزيف فى اللب والقشور ...
فانتظرى يا حبيبتى
هديتى فى آخر النهار
سنبلة وزنبقة
وحفنتى شرار على حواشى مطرقة"

لقــد أتــى حريق بالمنزل فى الثمانينات للأسف على الكثير من الكنوز التى خلفتها سهام من أعمال فنية سواء شعر أو رســم والــتى تخــص أخصب فترات حياتها. ولقد عثرت بطــريق الصدفة على كراس لها كتبته بين سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة من عمرها دونت به أقوالاً أعجبتها وأخرى من تأليفها. ليس هذا بالطبع أفضل أو أنضج ما كتبت، ولكننى أقتبس بعضا منه للدلالة على اهتماماتها فى ذلك الوقت، وكيف كانــت شخصــية سهام قد تبلورت وتهيأت لدورها المستقبلى. فمن أقوالها:

- **لا يمكــن أن يكون الحب أعمى لأنه هو الذى يجعلنا نبصر .**
- **الغضب كالنار إن لم تطفئها أحرقتك .**

- **ليســت الجريمة ذنبا يعاقب عليه إنما مرض يعالج منه .**

ومن أقوال الغير:

- **يقولــون لــى إذا رأيت عبدا نائما فلا توقظه لــيحلم عن الحرية، وأقول لهم إذا رأيت عبدا نائما أيقظته وحدثته عن الحرية**

أبراهام لينكولن

- **الذين يناضلون هم الأحياء – فيكتور هوجو**
- **ليس الإنسان سوى نملة، ولكنها نملة متكبرة إذ إنها تفخر بأنها تستطيع صنع قنابل تحصد أكبر عددا من الأرواح – جان كرم أستاذ مادة العلوم فى مدرسة الليسيه الفرنسية**
- **جمــيع أولئك الذين يحققون امتيازا فى الحياة يــبدأون حــياتهم ثوريــن. المتفوقون منهم يــزدادون ثــورة كلما تقدموا فى السن، وإن كــان الوهــم الســائد عــنهم أنهم يعودون محافظيــن. علــة هــذا الوهــم أنهم يفقدون إيمانهم بالطرق المألوفة فى الإصلاح .**

برنارد شو

- **يا بنى لا تحكم على شخص من عمله، ولكن من عمله بالقياس لبيئته – صمويل بطلر**
- **تحـت شـمس الفكـر عرفـت النور ورأيت الجمال، ولكننى احترقت – توفيق الحكيم**
- **لا شـىء يجعلـنا عظماء سوى ألم عظيم – ألفريد دو موسيه**
- **يمكـن للقدر أن يباعد بيننا ولكنه لا يستطيع أنْ يفرق بيننا، فسيشعر كل منا بما يشعر به الآخـر مهمـا باعدت بيننا المسافات – جان جاك روسو**
- **الإنسـان لـيس له ميـناء والزمن ليس له شطآن، الزمن يسرى ونحن نمر – لامارتين**

ولكـن هذه المواهب والأنشطة تتضاءل فى أهميتها بل تتلاشـى بجانب محور حياتها الحقيقى ألا وهو الناس. كانت تحـب أنِ تتعرف على الناس بكافة تنويعاتهم، وتتحاور معهم وتفهمهم وذلك بحب ونهم لا يعادله حبها لأى نشاط آخر. لقد كـان لها كم هائل من الأصدقاء سواء من الزملاء والزميلات على اختلاف أعمارهم أو من العاملين بالمدرسة بدءا من عمال الـنظافة وحتى المدير. لقد كانت أحد أهم محاور المدرسة أو التلميذة التى لا يجهلها أحد.



سهام زهرة متفتحة للحياة ١٩٦١









مدرسة ليسيه الحرية بمصر الجديدة

الهندسة

أنهت سهام دراستها الثانوية بتفوق وبمجموع يفوق ما كانـــت تطمح إليه ألا وهو دخول كلية الهندسة جامعة القاهرة. ســـأترك لـــزملائى وزملائها الوطنيين وصف حياتها بالجامعة ونشـــاطها السياســـى ولكننى سأركز على بعض الجوانب التى أخشى أن لا تحظى بالاهتمام الكافى.

مـــن هذه الجوانب مثلا دخولها قسم الهندسة الميكانيكية. كـــان من الممكن أن توجهها الأسرة لدخول قسم العمارة مثلا لموهبـــتها الفذة فى الرسم ولشهرة هذا القسم بأنه أنسب للبنات. ولكن لم يخطر ببال أحد فى الأسرة أنه يستطيع أن يثنى سهام عـــن عـــزمها مـــن الأساس، ولم يناقشها أحد فى دخولها قسم الميكانـــيكا. بالـــرغم من أن سهام كانت ظاهريا البنت الجميلة الأنـــيقة الشقراء إلا أنها كانت أيضا الإنسان المقدام الذى يمكن الاعـــتماد عليه والذى يقف كالطود فى مهب الريح يلتف حوله الـــناس إذا واجهـــتهم المشـــاكل يســـتمدون قوتهم من عزمه وتصـــميمه. كانت سهام دليلا حيا على أن تلك الصفات (التى يســـميها الـــبعض على سبيل الخطأ "رجولة") ليست لها علاقة بـــالذكورة أو الأنوثة، ولكن بطبيعة الشخصية. ومن الجوانب الأخـــرى الـــتى لا يعـــرفها الكثيرون هو حبها للهندسة كعلم وكمهـــنة. أستطيع أن أورد هنا ما ذكرته لى زميلة دراسة لها فى الكلية وهى حاليا أستاذ بكلية الهندسة. ففى حديث عن سهام

أثناء أحد المؤتمرات العلمية بالخارج قبل وفاة سهام ذكرت لى بالنص أن سهام هى "أذكى إنسان عرفته فى حياتى". وحين قلت لها تقصدين ذكاءها الاجتماعى، ردت بلا تردد "أقصد ذكاءها العلمى".

الصورة التى رسمتها فى الفقرة السابقة، والتى تشير لالتفاف الناس حولها فى الشدائد، صورة ناقصة بعض الشىء. لإكمالها يجب أن أوضح أن سهام كانت تستمد أيضا قوتها من الناس. لقد كانت لها تلك الموهبة الفذة فى أن تنظر لأعين من تحدثه فتنفذ مباشرة لقلبه لتقرأ ما فيه. ليس ذلك من قبيل السحر ولكن من قبيل الحب. لقد كان محدثها يدرك بسرعة رغبتها الصادقة فى التعرف عليه ومصادقته، وبالتالى لا يجد غضاضة فى أن يطلق العنان لمشاعره الدفينة لتفيض فى عينيه. لقد تضاعفت لدى سهام الرغبة والقدرة فى التعرف على الناس ومصادقتهم بعد دخولها الجامعة وانشغالها بالعمل العام، واستمرت فى ممارسة تلك الهواية بنفس النهم. لقد كانت تحدثنى الساعات الطوال عن معارفها الجدد باهتمام بالغ وسعادة شديدة سواء كان طالبا عاديا أو قياديا أو محاميا أو سياسيا أو نقابيا أو فنانا مشهورا أو مغمورا. وكثيرا ما كنت أتعجب كيف قرأت ذلك كله عن مفاتيح شخصيته، ولكنه حب الناس الذى كان محور حياتها.

الجدة "أنيه"

ليس لنا أن نسأل من أين أتى كل هذا الحب، فهذا شيء لا يـــتم توريـــثه أو تعليمه، ولكنه على ما يبدو أحيانا ما ينتقل بـــالعدوى! لـــم أذكر بعد جدتنا لأمنا "أنيه" كما كانت تحب أن تســـمى وتعـــنى "الأم" بالتركـــية، وهى شخصية شبه خرافية تســـتحق كتابا لها وحدها . لقد وسع قلبها جميع الكائنات الحية حبا وحنانا بصورة لم أر لها مثيلا فى حياتى، سواء كانوا بشرا أو حـــيوانات أو حتى نباتات! لم تكن لتستطيع أن ترد الإساءة بمـــثلها أو حـــتى بأقل منها، ولكنها كانت ترد بمزيد من الحب حـــتى يرضخ المعتدى ويسلم بأنها "أنيه" أى الأم التى استحقت ذلـــك اللقب بجدارة من الجميع سواء كانوا أقارب أو معارف. لقـــد اتســـع صـــدرها ومـــنزلها لأعداد غفيرة من الأصدقاء والمعارف، بالأخص من الأتراك والشراكسة. ليس صحيحا ما يعـــتقده الـــبعض،من أن كل الأتراك كانوا باشاوات فكان منهم أنـــاس من جميع الطبقات أعلاها وأدناها. وكانت "أنيه" تستقبل هـــؤلاء وهـــؤلاء، يـــأتون طامعين على الأقل فى كلمة طيبة وشخصـــية ودودة، حتى إننا كنا نعتقد أنه لا يقيم منهم أحد فى مصـــر أو حتى يمر بها مرورا عابرا إلا ويجب عليه أن يؤم بيـــت "أنيه"! ومن القصص الطريفة التى تعبر عن اعتقادنا بأن "أنـــيه" شخصـــية دولية ،وأن أشرف حينما كان فى الثالثة أو الرابعة من عمره خرج من البيت خلسة قاصدا "المعرب"، أى معرض القاهرة الدولى فى لغته، واستقل أول أوتوبيس وطلب

مـــن المحصل أن يوصله، فما كان من المحصل إلا أن أودعه أقرب قسم للشرطة. وحينما هرعت جدتى للبحث عنه ووجدته وأعطـــت للضابط أوراق تحقيق شخصيتها، ظل الأخير مترددا حيـــث إن تلك الأوراق لا تثبت صلة القرابة ، وقال لها : " لا مؤاخذة يا ست هانم إحنا ما نعرفكيش" فانبرى أشرف قائلا "هو فيه حد فى الدنيا ما يعرفش أنيه؟!". كما يروى عنى فى نعومة أظفـــارى أننى كنت دائم العتاب على والدى بقولى "ليه يا بابا وتـــت تمبانة" أى لماذا قتلت الذبابة، وكنت أقولها بغضب شديد يضـــحك الجميع ولكننى أعتقد أن ذلك لم يأت من فراغ بل من آثـــار تربـــية "أنيه". وفى نفس السياق ، فإن والدى الذى كان متدينا وملتزما ولكن بدون شطط ، كان يحرص على أداء سنة التضـــحية بخـــروف العـــيد، بما فى ذلك طبعا حضور عملية الذبـــح، وهو ما كنت أتحمله بصعوبة بالغة باعتباره ضرورة دينـــية ولكونى ولدا، ولكن سهام رفضت ذلك رفضا قاطعا بما فـــى ذلك رفض الأكل من لحمه. لقد كانت تقول لى كيف لى وقـــد تلاقت عيناى بعينيه أن أقتله، بل وتريدنى أيضا أن آكل مـــن لحمـــه؟ إن ذلـــك لمن المحال. لم تكن ترفض أكل اللحم عمومـــا ولكـــنها كانت ترفض أكل ما رأته حيا، بما يعبر عن قدســـية تلاقـــى الأرواح عند سهام حتى ولو كان اللقاء مجرد نظرة ومهما كانت صفة الشريك فى اللقاء. كما يذكر أيضا أننا كنا نحب تربية القطط، وحينما رزقت إحداهن بأربع " هرات " كانت سهام تستمتع بأن تحكى لى الفرق بين "شخصية" كل من

الهـــرات الأربـــع، الأمر الذى لا يمكن أن يحدث بدون درجة عالـــية مـــن الاهتمام والحنان، تماما كما كانت تفعل مع الناس جمـــيعا، وإلى حد كبير كما كانت تفعل جدتنا "أنيه". لقد توفيت جدتـــنا فى عام ١٩٧٥ حينما كنا ــ سهام وأنا ــ فى المعتقل. لقـــد ذكـــرت "أنيه" فى ذلك الوقت لأمى أنها تشعر بشىء من الذنـــب تجـــاه سهام لكونها شاركت فى دفعها لذلك الاتجاه من كثرة حكاياتها عن نضال كمال أتاتورك ضد المحتلين وتحريره لتركيا. وبالرغم من أن "أنيه" قد توفيت وسهام تقريبا فى مقتبل العمر، إلا أن سهام قالت قبل وفاتها فى الثالث عشر من مارس ٢٠٠٣ بســـنوات معـــدودة، لا تعـــتقدوا أننى كنت أستطيع أن أســـتمر فـــى الحياة بدون "أنيه" وأن "أنيه" تزورنى باستمرار. ليس واضحا ما كانت تعنيه أو كيف كانت تتم هذه "الزيارات"، ولكـــن أحاديـــث ســـهام فى الفترة الأخيرة من حياتها اتسمت بمســـحة صوفية يصعب معها التمييز بين ما هو واقع وما هو رؤية لهذا الواقع أو أمل فيه.



"أنيه" والأم فى تركيا أمام تمثال كمال أتاتورك



سهام وأشرف يداعبان "أنيه"



"أنيه"



"أنيه" تحمل هموم الآخرين فى صمت

السياسة فى قلب سهام

إن انشـــغال ســـهام بالسياسة كان النتيجة الحتمية لحبها للـــناس. لقد قرأت فى أعينهم وقلوبهم ما يحبون ويرغبون فيه فوجـــدت نفسها مضطرة بعد أن توحدت معهم فكريا وعاطفيا للتعبير عنه، وبالتالى تفجر طاقات الطلبة نتيجة لشعورهم بأنهم وجدوا الراية التى كانوا يبحثون عنها. هذا هو ما قصدته حينما قلـــت إنها كانت تستمد أيضا طاقتها من الناس. لم يكن اهتمام ســـهام بالسياسة نابعا من موقف أيديولوجى نتيجة لقراءة بعض الكتـــب. لقد قرأت الكثير من الكتب بالطبع كما هو واضح مما كتبـــته فـــى الرابعة عشرة من عمرها . وواضح أيضا أن تلك القراءات قد شكلت إلى حد ما توجهاتها الفكرية. ولكن القراءة فقـــط لا تشـــكل دافعا فى حد ذاتها لسهام، وإنما الدافع هو ما يســـميه المثقفون الانحياز للجماهير، وأحب أن أسميه ببساطة حـــب الـــناس. إن حماســـها فـــى العمل السياسى وتصميمها ومـــثابرتها الـــذى كـــان فى الظاهر دافعا للحركة الطلابية بل ومحـــركا رئيسيا لها، يمكن فى نظرى قراءته أيضا بالصورة المعاكسة أى أن سهام لم تكن فقط تقود الطلبة، بل كان الطلبة أيضـــا يقودونهـــا لاتخـــاذ المواقف التى اتخذتها والتى جعلتهم يلـــتفون مـــن حولها. قد يكون من الصعب أن يفهم ذلك من لم يشـــتغل بالعمل السياسى، أو اشتغل به بصورة أقرب للتصور الأمـــنى الـــذى يلخص الحركة فى القيادات. ولكنى أتعشم أن

أكـــون قـــد ألقيت بعض الضوء على ما اعتقد أنه أهم ما يميز العمل السياسى بالمعنى النبيل. ليس صراعا على السلطة ولكن حبا للناس.

إن ذلك الموقع للسياسة فى قلب سهام أثناء الحركة الطلابية هو الذى مهد لتوجهاتها التى أعقبت انحسار الحركة الطلابية لآفاق إنسانية ودينية أرحب، كما يظهر فى كتاباتها الأخيرة. لقد استهلت سهام كل كراسة من كراريسها فى الفترة الأخيرة بصفحة تمنع أى إنسان من مجرد قراءة تلك الخواطر وبلغة صارمة بل وجارحة لمن تسول له نفسه ذلك، مما جعلنا نتحرج من نشرها. ولكن هناك صفحة تقول فيها:

> **"يراودنى أن أؤلف كتابا عن قصة حياتى فسوف يكون ذلك كتابا هاما به عبرة. ولكن أيضا لا أريد أن أنشر. لا أحب أبدا أن أنشر. ولكن من المهم تسجيل قصة كفاحى فهل أدون منها لمحات أو فصولاً فى مذكراتى؟ ولكن هذه حكاية طويلة ومتشعبة. عموما أتركها للظروف ولكن المؤكد أننى أبدا لن أنشر أى شىء فهذا ليس لى"**

لقـــد اعتبرنا ذلك شبه تصريح بنشر بعض مما كتبت ، حيث إن النشر ليس لها أن تقوم به كما قالت ولكنه شبه حق لنا علـــيها. سنكتفي إذن بإيراد أجزاء مما كتبته بما يحقق الهدف، وربمـــا لإعطـــاء "العبرة" التى رغبت، وذلك بإلقاء بعض من

الضـــوء علـــى طبيعة توجهاتها فى الفترة الأخيرة من حياتها والتى اعتبرتها مكونا أساسيا من تاريخ كفاحها.

النص التالى من كراسة كتبت فى عام ١٩٩٧

"أرى فى العالم جبلا له قمة عالية وكل البشـــر يتســـلقونه ويتعاركون مع بعضهم البعض حتى يركلون بأرجلهم من هم أسفلهم ومن هم أســـفل يهبشون فى من يتقدمهم ويجـــرونه من أرجـــله كى يوقـــفوا صعوده وكل واحـــد يريـــد أن يكـــون أفضـــل من الآخـــر وكل واحد يريد أن يكون هو وحده أول من يصل إلى القمة أو إلـــى أعـــلـــى نقطـــة مـــمـــكنـــة أو غيـــر مـــمـــكنـــة فأين الرحمة وأين المحبة "طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض" .

النص التالى كتب فى فبراير ١٩٩٩:

"أعط الحب مقابل الكراهية تكن أنت نقطة نور. يقول هو لا تقاوموا الشر بل من لطمك ابتسم له وأهده وردة تكن أسمى من العدو وتلطم من دعاه للطمك فتكون جنديا فى الحرب الحقيقية الوحيدة وتنتصر. لأنه "هو" قد انتصر فقال: "اغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يعلمون ما يفعلون" وأين قالها!؟!!!"

الآيات التالية وجدت مع كراسات أخرى فى حجرتها، ولكن لا يوجد تاريخ عليها:

" ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون "

النص التالى كتب فى ديسمبر ١٩٩٩:

" كل من عليها فان

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام "

النص التالى فى مارس ٢٠٠٢:

" إن أول خطيئة هى:
أنا
وثانى خطيئة هى:
أنا طيب
وثالث خطيئة هى:
أنت لست كذلك
...
وبعدها ... تشتعل الأرض "

سنوات الجفاف

ولكـــن هـــناك الوجه الآخر للعملة. حيث إن سهام كانت تســتمد طاقــتها من الجماهير، وحيث إن هذه الطاقة قد بلغت أوجها أثناء الحركة الطلابية فى بداية السبعينيات، فإن انحسار الحركة الطلابية كان له أثر سلبي على سهام ربما لا يعادله ما شـــعر بـــه أى إنســـان آخـــر فى ذلك الوقت. كانت سهام بين الجماهـــير كالسمكة فى الماء. ولكن حينما جفت الوديان ظلت منـــتظرة بشـــوق من السماء أن ترحمها بوابل من المطر، فإن طـــول الانـــتظار للوعد قد أثر سلبا على سهام بل وتضاعف تأثـــيره مع الزمن حتى وفاتها قبل سقوط بغداد بأيام. كثير من الـــزملاء الوطنييـــن أصـــيب بالإحباط بسبب انحسار الحركة الوطنـــية فى مصر والعالم فى العقدين الماضيين. ولكن كانت هـــناك دائما فرصة لدفن تلك الهموم سواء مهنيا بالانخراط فى العمل أو اجتماعيا بتكوين أسرة وتنشئة الأطفال . بحيث إنه فى النهاية كانت الحياة تسير. أما مع سهام فإن الحياة تبدو كما لو كانـــت قد توقفت عند تلك اللحظة. إن حالة الإحباط العام التى عمـــت مصـــر والعالم العربى فى العقدين الأخيرين، والشعور بالمذلـــة والمهانـــة تجاه اعتداءات استعمارية بلغت من القسوة والظلـــم مـــا بلغت بدون رد مقنع، كل ذلك ساهم بلا شك فى تعمـــيق اكتـــئاب ســـهام الذى لم نستطع أنا ولا أى ممن كانوا

يحـــبونها أن يخــرجها مـــنه. ولعل هذه السطور التى لم تكن لتواسى سهام أن تواسينا نحن وتخفف بعضا من ألمنا لفراقها.

ذروة الأزمة

لقد عايشت سهام الحركات الطلابية بعمق بالغ. وهناك حالة لا يعرفها سوى من شارك بالفعل فى الحركات الجماهيرية الكبرى، والتى يصعب شرحها للغير، وهى ما يمكن تسميتها حالة " النقاء الثورى " . حينما تحتدم الحركة فإن المشاركين فيها يشعرون بأن ذواتهم وكل ما يملكونه بما فى ذلك أجسادهم، كل هذه مجرد "أشياء صغيرة" بالمقارنة بالطوفان الهادر من الجماهير التي خرجت لتدافع عن مبدأ أو عن قضية. كانت الثورات على مر العصور أعيادا للشعوب وقاطرات للتاريخ، ينتاب المشاركين فيها شعور بالنبل والسمو يمنحهم سعادة داخلية وطمأنينة لا يضاهيها أي شعور آخر. ولذلك فإننا حينما كنا نقرأ في الكتب عن بطولات وتضحيات كنا نتعجب كيف تسنى لشخص أن يقوم بهذه الأعمال العظيمة. وحينما عايشنا التجربة بالرغم من محدوديتها وبالتالي محدودية الصعوبات التي تعرضنا لها، فهمنا أكثر كيف يمكن للمرء فى خضم الثورة أن يقوم ببطولات ويعتبرها أمرا طبيعيا. إن سهام بحساسيتها المرهفة كانت الأشد تأثرا بالحركة سواء لحظة توهجها أو حين توقفها.

لقد بدأ الاكتئاب الذى عانت منه سهام تدريجيا بعد انفضاض الحركة . ولكن هناك بالتأكيد لحظة فاصلة فى تطور ذلك الاكتئاب وهى رحلتها إلي الاتحاد السوفييتي . لقد سافرت إلي الاتحاد السوفييتي فى إطار منحة حصلت عليها لتحضير رسالة الماجستير والدكتوراة . ولكنها مَا لبثت أن تركت كل شيء وعادت إلي مصر بعد أن صدمت بما رأت. يمكن أن نفهم حجم تلك الصدمة بالنظر إلى كل من شخصية سهام من جهة والطبيعة البيروقراطية للنظام السوفييتى آنئذ وتفشى الفساد فيه قبل سنوات معدودة من انهياره من جهة أخرى. ولكننا لم نستوعب حجم واستمرارية المعاناة من هذه التجربة إلا بعد أن قرأنا بعضا مما كتبت فى السنين الأخيرة أى بعد حوالى عشرين عاما من عودتها من الاتحاد السوفييتي . لقد راعها ما رأته من إقبال بعض من الروس أو من المصريين والعرب بنهم على "أشياء صغيرة" مهما كانت قيمتها المادية ، بدون مراعاة للقيم والمبادئ التى يدعون إليها ، أى النقيض المباشر لما تطهرت به روحها أثناء معايشة الحركة الطلابية . لقد عادت من الاتحاد السوفييتى قائلة إنه ليس المهم المبدأ أو المعتقد الذى يؤمن به إنسان أو الراية التى يرفعها بل الأهم من ذلك هو صدقه واستعداده للالتزام بذلك المبدأ والتضحية من أجله. وبالطبع لم تكن طبيعة التطورات التى أصابت مصر والعالم العربى بل والعالم أجمع منذ ذلك الحين وحتي وفاتها

قبيل سقوط بغداد بأيام، لم تكن طبيعة تلك التطورات تسمح بمحو آثار هذه التجربة المريرة ، بل للأسف على العكس . لقد أصبحت غير قادرة على معايشة "الزيف فى اللب والقشور" الذى أشار إليه سميح القاسم وأثرت أبياته فيها منذ نعومة أظفارها، بصورة جعلتها تهجر كل شيء. لقد صامت عن الكلام مرات عديدة، كانت تتوقف أثناءها عن الإفصاح عما يختلج داخلها. وكانت تكتفى بتسيير أمور حياتها الضرورية عبر الورق. وفى كل مرة كان الانقطاع عن الكلام أطول من سابقه. فى المرة الأخيرة طال الانقطاع حتى بلغ عاما كاملا حاولنا خلاله جميعا إخراجها من الحالة التى كانت عليها بدون جدوى. وكأنها بانتظار الموت حتى نالته فى حادثة سيارة.

إن مصر التى أهدتنا سهام ، قبل أن يخطفها منا القدر فى حادث عارض، قادرة على أن تعطينا سهاما أخرى. لعل الذكرى التى يحييها هذا الكتاب تسهم فى ذلك. وبالرغم من حلكة الوضع الراهن، وربما بسببها، فإننا نستشعر بأن الريح قد بدأت تغير اتجاهها وبأن المقاومة والصمود أصبحا مكونين أساسيين في قاموس لغة العصر، ليعود بذلك الأمل في أن تفيق الشعوب من حالة الغيبوبة التي أصابتها في نهاية القرن العشرين، ولتواصل سعيها الدؤوب والأبدي للحرية. هذا التيار الممتد عبر التاريخ والذي ساهمت سهام في دفعه ودفعت فيه أجمل سنين عمرها، لن يتوقف بعد وفاة سهام ولن ينسى أيضا

في ذات الوقت مساهمة سهام وغيرها في دفعه وستظل ذكراها حاضرة في كل "عيد" من أعياد الشعوب.

لعل خير ما أختتم به مقتطفات كتبت بتاريخ ١٤ مارس ٢٠٠٢، وتعد من أواخر كتاباتها:

"أحتفل هذه الأيام بالذكرى العشرين لتركي الاتحاد السوفييتي. وما زلت متمسكة بقراري وأعيده لو عادت الأيام. انتصار الروح على الجسد. انتصار النور على الظلام. ومن يومها ورغم كل الأعاصير ما زلت أصعد درجات السلم الروحي وأنمو أكثر فأكثر تتفتح عيونى وتتبلور مخيلتى .
عشرون عاما من الكفاح فى سبيل الله.
يا رب قُـــد مركبى إلى البر الذى يتباعد . يتكرر ولا يتكرر. ...
فإن الإيمان بالعقيدة الحقة من القلب وبالإخلاص وبالعطاء دون انتظار مكافأة فهذا هو الحق. ...
فأما درجات الإيمان فهى فى صعود وأما الحق فهو فى انبلاج وأما السلم فذلك ما نبحث عنه ليل نهار فى المظاهرات صباحا وفى القراءة مساء .
وفى البحث المتأمل طول الوقت .

ومن درج إلى درج قادنى الله إلى الصعود إلى صورته المباشرة الساطعة.

...

ولأننى أبحث عن النور وجدنى الله وأرانى الخطوة التالية وفتح عيونى العطشى للنور من سن الثالثة عشرة (حيث إننى فى سن الثالثة عشرة كنت أبحث عن الحق وقررت لذلك وقتها أن أقرأ كل الكتب التى فى العالم) ...

وها هى عشرون عاما من العذاب وعشرون عاما من الصعود وعشرون عاما من الانتصار فى آن واحد.

يا رب أنقذنى .. أنقذنى يا رب. يا رب أنا لا أطلب سوى الشهادة . فخذ روحى صباح غد قبل أن تنفتح عيناى على صباح آخر. ...

فخلصنى يا إلهى لأن آلاما قد غرست على آلام على آلام ، وأبكى كثيرا جدا وأنت تعلم. ...

يريدون أن يطفئوا نور الله ...

والله متم نوره كله "

14-03-2002

مهندسة القاهرة





بطلة من هذا الزمان

أحمد بهاء الدين شعبان

حين أكتب عن سهام صبري فإنني في واقع الحال أكتب عن نفسي وعن زملائي وأبناء جيلي . فحياة سهام صبري ورحيلها كانا في نهاية المطاف، أبلغ تعبير عن روح هذا الجيل المتمرد ورؤاه الثائرة . . و"تراجيديا" صعوده وهبوطه .

غير أنه من الممكن النظر إلى حياة سهام صبري من منظور آخر النفس ومواجهة الزيف والتطابق المذهل بين الفكر والعمل وباعتبارها أيضا تجسيداً حقيقياً للانحياز إلى الحق والتماهي بين الإنسان وقناعاته . وهي حالة نادرة من الصفاء الروحي والذهني يصعب تكرارها، ومن النادر أن يلتقيها المرء في حياته الحاضرة .

تعود معرفتي بسهام صبري إلى أوائل عقد السبعينيات المنصرم، كنت قد بدأت التعرف على واقع كلية الهندسة جامعة القاهرة والاحتكاك بالناشطين فيها، آنذاك . كانت معظم أنشطة الطلاب تتركز في الأنشطة الترفيهية أو الثقافية وتحكمها ضوابط صارمة لا يمكن الخروج عليها، وتراقبها عيون الإدارة وضباط مباحث أمن الدولة والحرس الجامعي، لكن الأحوال برغم كل ذلك كانت تتطور بصورة إيجابية، خاصة في ظل الدور الإيجابي الذي لعبه بعض الزملاء الأكبر سناً ، مثل علاء بكيش وخالد مندور،في احتضان جيلنا ودعمه وتطوير وعيه ومساعدته في حركته . وبدأت على استحياء ظاهرة صارت فيما بعد علامة على الوعي الطلابي الجديد ، هي ظاهرة صحف الحائط التي حولت الجامعة إلى

منــبر للتعبــير الحر عن الرأي، كما نبعت، من بين صفوف الطلاب داخل كلية الهندسة وخارجها جماعات فكرية / سياسية حملت أسماء وطنية ذات دلالة : "عبد الحكم الجراحي" ، "عبد الله الــنديم" ، "مصــر" .. الــخ ، لكــن الــتحول الحاسم في كليتنا،كلــية الهندســة جامعــة القاهرة ،جاء مصاحبا لتكوين "جماعة أنصار الثورة الفلسطينية" التي بادر بالدعوة لها زملاء كانوا قد عادوا من زيارة للأردن واكبت فجائع مجازر سبتمبر، (أيلــول الأسود) ،التي مارستها قوات الملك حسين في مواجهة شــعب فلسطين وطلائعه الفدائية ،كان من أبرز هؤلاء الزملاء الزميليــن منير مجاهد واحمد هشام ، والزميل المرحوم عبد العزيــز شــفيق ،الذين سعوا ونحن معهم لتأسيس جماعة كــان لهــا موقع مهم للغاية فيما بعد أسميت " جماعة أنصار الــثورة الفلسطينية "، والتي لعبت واحدا من أبرز الأدوار في تصــعيد وتطوير العمل الطلابي في كلية الهندسة وفي الجامعة أيضا.

فــي " جماعــة أنصــار الثورة الفلسطينية " التقى عدد كبــير مــن نشــطاء العمل الوطني والديمقراطي في الكلية ، وفــيها اكتســبت هــذه العناصــر الشابة خبرات ثمينة للغاية فــي العمــل الفكــري والسياســي ، وعلى كل المستويات ، أذكــر مــنهم طلعــت فهمــي وكمــال خليل ، وشاكر عرفه وإبراهــيم عــزام والمــرحوم حلمــي المصري وعماد عطية وريــاض رفعــت والمــرحوم مــاجد إدريــس وحسن بدر ، فاتــن عــبد المــنعم ، ومصــطفي الخطيــب ، وإبراهيم عبد الراضــي ، وعشــرات غــيرهم لا تحضرني أسماؤهم الآن، وقــد اكتســبوا جمــيعا ،باحــتدام معــارك النضــال

اليومـــي،ملامـــح الـــزعامة وســـمات القـــيادة الطلابـــية ،مع تعاظم خبراتهم وتطور ملكاتهم.

لكـــن مشـــاركة ســـهام صبري كانت شيئا آخر تماما. فمـــنذ الوهلـــة الأولـــى لطلـــتها المهيبة كانت تمتلك حضورا طاغـــيا عـــز نظـــيره، ومواهـــب قيادية طبيعية لا اصطناع فـــيها ولا افـــتعال، فتكويـــنها الجســـماني القـــوي الفـــارع المتماســـك ، وملامحهـــا التـــي تخـــتلط فيها الملاحة بالنبل، وجـــرأتها وروحهـــا المقدامـــة ،وقدراتهـــا العلمية والثقافية ، كـــل ذلـــك دفعهـــا مرة واحدة إلى مصاف القيادات الطبيعية، كأنها ولدت لكي تكون قائدة وخلقت للزعامة.

كـــان وجـــود ســـهام صـــبري بينـــنا مكســـبا هـــائلا لأفكارنـــا، وإضـــافة نوعـــية لقدراتنا ،وتعزيزا كبيرا للكفاءة فـــى العمـــل و الإنجـــاز ،. وكان اشتراكها في أي مظهر من مظاهـــر حركتـــنا: مؤتمـــر سياســـي أو نـــدوة فكـــرية أو مظاهـــرة حاشـــدة أو مناقشـــة أمـــام صحف الحائط أو غير ذلـــك مـــن الأنشـــطة دعما كبيرا لعملنا ، نظرا لما تميزت به مـــن حضـــور شخصـــي ووعـــي حـــاد وقدرة على عرض الأفكـــار ببســـاطة وعمـــق معـــا ، وعلـــى الرغم من المنبت "الـــبرجوازي" لســـهام فقـــد بـــدت كجزء عضوي من الإيقاع العـــام للمجموعـــة اليســـارية بالكلية ، والتي كانت تدافع عن مصـــالح فقـــراء الوطـــن وتنحاز لمطالب أغلبية أبناء الشعب مـــن الطـــبقات الكادحـــة ، وزاد علـــى ذلك أن سهام في ظل تصـــاعد الخلافـــات الفكـــرية مـــع أسرتها، آثرت ترك منزل العائلـــة والاعـــتماد علـــى الـــذات فـــي تدبـــير احتـــياجاتها ومصـــاريف دراســـتها ، واذكـــر أنهـــا كانت تمارس تدريس اللغـــات والرياضـــيات ،وهـــي مـــواد كانـــت تتقنها من أجل تحقـــيق هـــذه الغايـــة ،كـــان هـــذا الأمـــر يوفر الحد الأدنى

لتغطـية تكالـيف العـيش المتواضع ، لكنى لم أرها أبدا وفي ظـل هـذه الظـروف الصـعبة تتشكي من اختلاف ظروف المعيشـة أو مـن معاناتهـا في حياتها المكافحة الجديدة ،بل زادتهـا هـذه الظـروف عـنادا ،وقـدرت أنها بهذا الموقف الجديـد كانـت تـنحاز بـالفعل إلـي ما تؤمن به من أفكار ومعـتقدات، خاصـة فـي ظـل ارتـباطها بزميل فنان، بالغ الـرقة والدماثـة ،هـو محمد توفيق ،حيث تزوجا وعاشا معا لفترة من الزمن في ظروف بالغة الصعوبة.

زاملـت إذن سـهام صبري في أيام عصيبة حينما بلغ الـتوتر في الجامعة مداه ، فحالة الهزيمة التي أعقبت احتلال الدولـة الصهيونية لسيناء بالكامل قد أفرزت في المقابل وعيا شـبابيا عارمـا بضرورة إعداد الوطن لخوض معركة تحرير الأرض المحـتلة ، والسـلطة – وخصوصـا بعد انفراد أنور السادات عقب أحداث ١٥ مايو ١٩٧١ بمقاليد الأمور _ كانت تماطل في إعلان الحرب ، وتتذرع بذرائع واهية للتملص من وعودهـا بالقتال ،(من نوع ضباب الحرب الهندية الباكستانية الذي دفع النظام إلى تأجيل المعركة) ،وكانت الحركة الطلابية، لـدواعٍ عديـدة ، أكـثر فـئات المجتمع استجابة وحساسية، واستطاعت التطورات في الجامعة وداخل القطاعات العمالية – بعـد ١٩٦٧– أن تزلزل الأرض من تحت أقدام النظام ، وأن تطـرح مقاربـات عديـدة، جديـدة، للأوضـاع في البلاد ، وتسـارعت وتـيرة الأحداث حتى لم يعد لأي قوة قدرة على لجمهـا أو السيطرة على اندفاعها، وفي تلك اللحظات الحرجة كانـت سهام صبري بطلة حقيقية في بساطة وتلقائية وتواضع، لـم تخذلـنا مـرة أو تفر من المعركة مهما كانت التحديات، وبعيني هاتين شاهدتها في عشرات المواقف الحاسمة أصلب ما يكـون المـرء وأشـجع مـا يمكـن ، كانت تدلى بآرائها في

الاجــتماعات ، وتخطب في المؤتمرات الحاشدة ، وتساهم في قيادة الجموع المنتفضة ، وتشق الصفوف في مقدمة الآلاف من الطلاب زحفا إلى الإمام، كما شاهدتها وهي تتعرض للاعتداء، وترزح في القيود والأغلال ، محاطة بالجنود السود ، دون أن يهتز لها جفن أو يتسلل الخوف إلى نفسها أو تتراجع قيد أنمله عن يقينها.

وتشـــير إجاباتهـــا علــــى أســـئلة المحقق (وكيل النيابة صـــهيب حـــافظ ،النائـــب العـــام فـــيما بعـــد) الـــذي تولى اســـتجوابها فـــي المعـــتقل بعـــد حملة اعتقالات ديسمبر عام ١٩٧٢ ، إلـــى ملامـــح تفكـــير سهام صبري وعمق إدراكها وتجـــذر وعـــيها السياســـي ، وهـــي صـــفات ، كانت تفوق بكثـــير عمـــرها الزمنـــي وخبراتها السياسية العلمية آنذاك ، فهـــي تعلـــن بوضـــوح أمام المحققين مواقفها، ولا تتنكر لها أو تـــتراجع عـــنها، رغـــم ظـــروف الاعـــتقال العصـــيبة وحمـــلات الـــترويع والتشـــويه المـــتعمدة التي قادتها أجهزة إعـــلام متمرســـة علـــى الكـــذب والاختلاق والتضليل، وتقدم ســـهام بـــرغم حداثـــة ممارســـتها السياســـية المباشرة تحليلا عمـــيقا نـــافذا لـــتوجهات الـــنظام الحاكم وقتئذ ، "الذي يريد تمريـــر حـــل ســـلمي مـــتهادن مـــع أمريكا لمشكلة " الشرق الأوســـط" ، وهـــو مـــا يستدعي - كما تشير سهام صبري- "أن تعـــادي الجماهـــير وتقمعهـــم بشـــتى الوســـائل" . إن المطلـــوب - كمـــا كانـــت تـــرى فـــي تلـــك الأونة - "ليس إســـقاط الســـلطة ، وإنمـــا فضـــحها دائمـــا ، ومحاولة تنظيم الحـــركة (الديمقراطـــية) بشـــتى الوســـائل"خوفا من أن تلجأ الســـلطة لإجهـــاض الحـــركة ،عـــن طـــريق رفع شعارات متقدمة عن المرحلة يتبناها الطلبة العملاء" .

إن تحقيق غاية " تنظيم الحركة" يقتضي ،من وجهة نظر سهام صبري ،" الخروج من حالة العفوية التي تكون مجرد رد فعل وتنظيمها بشكل متصاعد" . . في "عمل جدي طويل النفس " . . وتحذر من " طلبنة الصراع" داخل الجامعة ، بعد أن بدأت أجهزة الأمن بتنظيم وتسليح القوى المضادة من الطلاب ،عملا بمبدأ "لا يفل الحديد إلا الحديد" حيث لجأت السلطة- كما تذكر سهام صبري في التحقيقات - " للإرهاب" و لـ "طلبنة الصراع" بتسليح الطلاب (التابعين للنظام) لضرب الديمقراطية بالمطاوي ، واتهامهم بالشيوعية بعد أن فقدت السلطة القدرة على الحوار وتبرير نفسها . . حيث لا تتدخل السلطة بشكل سافر و مكشوف ،(إذا فشل هذا الأمر تماما) ، و إنما يتحول الصراع بدلا من أن يكون بين الطلبة الوطنيين والسلطة ، إلى صراع بين الطلبة أنفسهم ، وعندما تتدخل السلطة تبدو محايدة وتقوم بتصفية الحياة السياسية في الجامعة بدعوى حفظ النظام(!) .

وتبلغ سهام صبري درجة عالية من الجرأة والشجاعة حين يسألها المحقق عما إذا كانت قد صدر عنها خلال نشاطها بالكلية أية كتابات أو أقوال تتضمن انتقاد أسلوب الحكم القائم أو الهجوم عليه ؟! حيث أجابت بنعم قاطعة: " وفي كل المقالات التي أكتبها أو أقولها في المؤتمرات هاجمت أسلوب قمع الديمقراطية والسعي إلى الحل السلمي المتهادن مع أمريكا بكافة أشكالهما".

وفي واقع الأمر فحين نستعيد للذاكرة أن قائلة هذه الكلمات الشجاعة كانت تنطق بها تحت وطأة الاعتقال

وإرهـــاب أجهـــزة القمـــع ، وفي ظل التشهير الذي لم ينقطع لأجهـــزة "الـــبروباجاندا" الرســـمية بقـــيادة رئيس الدولة ذاته، ومـــن فـــتاة لا يـــتعدى عمـــرها العشـــرين ربـــيعا . ليأخذنا العجـــب مـــن هـــذه التركيبة النضالية الفذة والوعي والإدراك العمـــيق والصـــلابة التـــي تمـــيزت بها سهام صبري وأبناء جيلها من زملائها.

مواقف لا تنسى

وأذكـــر ذات يـــوم مـــن أيـــام شهر يناير عام ١٩٧٢ يـــوم ١٢ أو ١٣ علـــى الأرجـــح ، حينما تصاعد الموقف في الكلـــية ، و تقـــرر عقـــد مؤتمـــر حاشـــد لتحديد الموقف من الأحـــداث بعدمـــا أعلـــن الرئـــيس السادات "خطاب الضباب" الشـــهير. عقـــد المؤتمـــر بمدرج "الساوي" الشهير وشاركت فـــي تنظـــيمه وإدارتـــه واحتشـــد الطـــلاب فـــي كـــل مكان بـــالمدرج حـــتى لـــم يعد هناك موقع لقدم، وحضر ممثلا عن الدولـــة الدكـــتور/ أحمـــد كمـــال أبـــو المجـــد ،وكان وزيرا للشـــباب آنـــذاك ، وتولـــى الرد على سيل التساؤلات المنهمر مـــن الطـــلاب دون أن يفلـــح فـــي إقناعهم أو تقديم مبررات منطقـــية لموقـــف الـــنظام ،وتصـــاعد التوتر حتى بلغ غايته حيـــنما أعلـــن أبـــو المجـــد أنه "ليس سوى " بوسطجي" ،أو حـــامل الـــبريد مهمـــته ، المحـــددة نقـــل تساؤلات الطلاب لـــــ(الســـيد الرئـــيس) والعودة منه بما يتفضل به من إجابات !!".. حيـــنذاك زام الجمـــيع مـــن الغضـــب ، وارتفعـــت صـــيحات الاحـــتجاج علـــى وزيـــر (للشـــباب!)، يفضـــح نظامـــه باعـــترافه أنـــه لا يملك على أسئلة الشباب رداً سوى مـــا يلقـــنه إيـــاه رئـــيس الجمهورية !، وفي لحظات تصاعد صـــوت ســـهام صـــبري حاســـما الموقف ومعبرا عن رأي

الجميع ، إذ صاحت به قائلة "إذا كنت وأنت وزير للشباب تعترف بأنك مجرد "بوسطجي" لرئيس الجمهورية ،فاذهب وأخبره أننا لن نتحرك من هنا إلا إذا حضر هو بشخصه للإجابة على تساؤلاتنا !!" . . وقد كان هذا الرد القاطع إعلانا لنهاية المؤتمر والفشل في إقناع الطلاب بوجهة نظر المسئولين ، وهو الأمر الذي تصاعد لكي يؤدي إلى اعتصام طلاب كلية الهندسة ،قبل أن ينتقل الاعتصام إلى مقر قاعة المؤتمرات الشهيرة ، ويرج مصر رجاً ،على النحو المعروف للجميع.

وموقف آخر لا أنساه لسهام صبري حين تطلبت ظروف الاحتدام و تواتر الأحداث آنذاك أن يتفاوض وفد من طلاب الكلية مع أمين التنظيم السياسي ،(الاتحاد الاشتراكي العربي) ، المهندس/ سيد مرعي، الإقطاعي الكبير وصهر الرئيس السادات وأحد صناع السياسة الرسمية على قمة النظام الساداتى في تلك الأونة.

وذهبنا ،وفداً منتخباً لكي يمثل الطلاب في كلية الهندسة ، مجموعة من الشباب أكبرنا لا يتعدى عمره العقدين إلا بسنة أو بسنتين ،لنواجه قيادات الدولة التي كانت تقف على ساق ، وفي ظل حصار أمني هائل اصطف الطلاب بالمئات حول مبنى الاتحاد الاشتراكي بكورنيش النيل ينتظرون عودتنا ، وبالآلاف في الكلية والجامعة ، إن حدث لنا سوء .. على أهبة الاستعداد للتدخل!.

دخلنا إلى قاعة الاجتماع وعلى الطاولة جلسنا محاطين بعدسات المصورين وبعد دقائق انفض الجمع ،

وخـــرج الحشــــد بإشــــارة مــــن ســـيد مرعي الذي جلس إلينا مستمعا ومحاررا ً.

كانـــت أول مـــرة – فـــي حياتي – أرى رمزا للسلطة علـــى هـــذه الحالـــة ،حيـــث كان أمين جهاز الدولة السياسي فـــي حالـــة مـــن الارتـــباك يصعب وصفها ،شاحب الوجه ، مرتعشـــا ، مـــزرق اللـــون ، أصـــابعه تـــرتجف ، وتخونه نـــبرات صـــوته يتصـــبب عـــرقا. ولـــم تفلح أناقته البادية – بكوفيـــته الحريـــرية الكحلـــية حـــول رقبته – ولا الابتسامة المســـروقة المضـــطربة التـــي حاول رسمها على وجهه في تـــبديد ملامـــح القلـــق العمـــيق والتشتت الذهني الذي ألم به مـــن جـــراء الانفجـــار فـــي الجامعة ، والعجز عن السيطرة علـــى الوضـــع ، أو تقديـــم تفســـير مقنع لسلوك النظام يقود الأمـــور – فـــي الجامعـــة – إلـــى نوع من التهدئة ، لقد بدا الســـيد مرعـــي عاجـــزا عـــن "التجميع" أو التعبير عن وجهة نظـــره أو ربمـــا لـــم تكن هناك – بالفعل – وجهة نظر ليعبر عـــنها !، ومـــن الطـــريف أنـــنا قـــد شـــعرنا ونحن بضعة طـــلاب لا حـــول لـــنا ولا قـــوة ، اللهـــم إلا قـــوة الحـــركة الطلابـــية التـــي كانـــت تنتشـــر في الجامعة انتشار النار في الهشـــيم والـــتعاطف الجماهـــيري الواسع النطاق من حولها ، أنـــنا كـــنا فـــي الموقع الأقوى والأكثر سيطرة وتأثيرا ، ولم يخامـــرنا أدنـــى رهـــبة من " هيبة "السلطة ولا "هيلمانها ". . حيث تصرفنا بتلقائية ووعي وصلابة وبساطة متناهية.

كـــنا نـــتكلم عـــن قضية حقيقية نؤمن بها ، ونشعر أننا نواجـــه ســـلطة مـــزيفة لا نخشـــاها . . ومضـــت دقائق قلقة قـــبل أن يـــنفجر الموقـــف المـــتوتر بعد لحظات من الصمت المشـــحون . . كنـــتُ أجلـــس أمـــام ســـيد مرعي وبجواري

عـــدد مـــن الـــزملاء بيـــنهم ســـهام صبري والمرحوم ماجد إدريـــس ، وانطلقـــت عواصـــف غضـــبنا حيـــث سمع سيد مرعـــي مـــا لـــم يسمعه من قبل ولا من بعد يقينا حتى رحل عـــن عالمـــنا! حاكمـــناه وحاكمـــنا نظامـــه ، وانهلـــنا عليه بالاستفســـارات والأســـئلة والاتهامـــات التـــي عجز كليا عن الإجابـــة علـــيها ، وبـــدا موقفـــه بائســـا ومحزنا ،حيث أخذ يتصـــبب عـــرقا ووجهـــه القمحـــي الغامق يتلون مصفرا أو محمـــرا وهـــو عاجـــز عـــن ملاحقة المدافع الطلابية سريعة الطلقـــات ، التـــي حاصـــرته بعشـــرات الوقـــائع عـــن الفســـاد والتراخـــي وإهمـــال مطالـــب الشـــعب والتســـويف والمماطلـــة والمســـاومة والاســـتعداد للـــتفريط فـــي مصالح الوطن الخ.

وإن أنســـى فـــي حياتـــي لا أنســـى أبـــدا حديـــث المرحوميـــن مـــاجد إدريـــس وســـهام صبري الذي أنهيا به اللقـــاء ،كـــان ممتلـــئا بالســـخرية والاستهزاء بكلام أحد أكبر المســـئولين فـــي الدولـــة الـــذي تهـــتز له الدنـــيا وترتج له الأوصـــال. وانفـــض الاجـــتماع بعد أن تلاقت نظراتنا إشفاقا ورثـــاء ، وإدراكـــا أنـــه لـــن يستطيع أن يقدم شيئا .. كانت آخـــر جملـــة لســـهام صـــبري تـــرن في مسمعي تعليقا على محـــاولات ســـيد مرعـــي (تفسير) مواقف الدولة والسادات : " إيـــه الكـــلام الفـــارغ ده !!! " ونحـــن في عرض الطريق نـــنزل إلـــى زملائـــنا الذين أخذونا في أحضانهم مهنئين بـــ " ســـلامة العـــودة!" بيـــنما هتافاتهم تدوي رغم جحافل قوات الأمـــن المحـــيطة " ســـيد مرعـــي ده يـــبقى مين . . يبقى حرامي الفلاحين !!".

وحـــتى بعـــد أن اقتحمـــت قوات الأمن المركزي مبنى الجامعـــة وفضـــت اعتصـــامنا (فجـــر يوم ٢٤ يناير ١٩٧٢) بـــالقوة ،واعتقلـــت المـــئات مـــنا ونقلتنا إلى معسكرات الأمن المركـــزي بالدراســـة قـــبل أن تـــرحل أعضـــاء " اللجـــنة الوطنـــية العلـــيا للطـــلاب " ،وأنـــا بينهم ، إلى معتقل القلعة الرهيـــب، لـــم تـــتراجع سهام صبري عن مواقفها البطولية ، ظلـــت صـــامدة فـــي محبسها الذي كتب من وحيه أحمد فـــؤاد نجـــم قصـــيدة " أنا رحت القلعة " ولحنها وغناها فنان الشعب الشيخ إمام عيسى وفيها يتحدث عن سهام فيقول:

" وقابلت سهام في كلام إنسان
منقوش ومأثر في الجدران
عن مصر وعن عمال حلوان
مظاليم العهد المعتقلين
عيطي يا بهية على القوانين !

... وحيـــن أطلق سراحنا وسراحها ، بضغط عارم من القـــاعدة الطلابية وجماهير الشعب والمثقفين ،عادت سهام لكي تمارس نشاطها بقوة واقتدار كعهدنا بها ،لم يهز الاعتقال يقينها أو تخـــيفها أو يجعلهـــا تـــتراجع عـــن مواقفها ،رغم عمليات التحرش العدواني المستمر من أجهزة الدولة بها وبنا . . والتي بلغـــت ذروتهـــا عقـــب تأسيس أجهزة الأمن لما أصبح يعرف بـــــ "الجماعـــة الإســـلامية " بكلية الهندسة جامعة القاهرة وبكلـــيات الجامعـــة وجامعات ومعاهد مصر كذلك ضمت هذه الجماعـــات، بالكلـــيات المخـــتلفة ، بعض الأفراد من الطلاب العادييـــن ولكن أجهزة الأمن دست فيها أيضا أنواعا من الطلبة مـــن الراسبين الدائمين الذين يطلقون على أنفسهم اسم " قدامى الطلـــبة " تهكما، وكذلك أعدادا من مرتزقة الأنشطة المتحلقين

حـــول رعايـــة الشباب والمستفيدين من ميزانياتها ،مع عملاء أجهـــزة الأمن بالجامعات ، ليمارسوا أنواعا من البلطجة ضد الحركة الطلابية الوطنية، وأصبح لهم دور واضح بعد انتفاضة ١٩٦٨ ،وحســبما تســـرب فيما بعد فلقد أنشئت هذه الجماعات باقـــتراح مـــن عـــثمان أحمـــد عثمان ،صهر السادات ووزير الإســـكان والتعمـــير ونائـــب رئـــيس الـــوزراء آنذاك ،وأحد الشخصـــيات القويـــة فـــي الـــنظام ،والذي احتضن التيارات الإســـلامية (وبـــالذات كوادر جماعة الأخوان المسلمين) عقب الإفـــراج عنهم في الصفقة الشهيرة مع أنور السادات لمواجهة المد اليساري الماركسي والناصرى في الجامعة والمجتمع ،بعد انفـــراد السادات بالسلطة عام ١٩٧١ ، وكما هو معروف فلقد لعـــب محافظ أسيوط وأمين لجنة التنظيم بالاتحاد الاشتراكي، محمـــد عـــثمان إســـماعيل ، دورا بـــارزا في إنشاء ورعاية الجماعـــات المتسترة بالإسلام في الجامعة على أمل أن تتولى هذه الجماعات تصفية اليسار في الجامعة بعد ما عجزت أجهزة الأمـــن ومؤسسات النظام عن إنجاز هذه المهمة التي اعتبرت مهمة ذات أولوية مطلقة في تلك الآونة ، وقد فضح أحد طلاب كلية الهندسة   جامعة القاهرة ،والمدعو وائل عثمان ،وهو من المؤسسين لهذه الجماعة ،والمشاركين لفترة في أنشطتها بالكلية والجامعـــة ،فـــي كتابين شهيرين (هما " حزب الله في مواجهة حزب الشيطان " و " آراء حرة ") كيفية تأسيس هذه الجماعات ودورهـــا وطبـــيعة علاقتها بأجهزة الأمن ومؤسسات النظام ، والدور المرسوم لها في مواجهتنا !.

وفـــي أحـــد الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر عام١٩٧٢ (وكـــنا قـــد أفـــرج عنا مرة أخرى   بعد حملة اعتقالات ٢٩ ديســـمبر ١٩٧٢ لإجهاض محاولاتنا لتشكيل " لجان الدفاع عن الديمقراطـــية" بالجامعـــة) بلغت اعتداءات هذه الجماعة على

أنشطة " جماعة أنصار الثورة الفلسطينية " ذروة غير مسبوقة ،حيـــن اقتحمـــت عناصرها المدججة بالعصي وأسياخ الحديد مؤتمــرًا حاشـــدا فشـــلت في منعه من الانعقاد ،وانهالت علينا وعلى الطلاب الحضور ضربا ،تحت مسمع ومرأى من أجهزة الأمـــن وإدارة الكلـــية التي غضت البصر عن مسلكيات هذه الجماعة الإرهابية (الرسمية) وساعدتها في أداء (واجباتها!) ، وقـــد فشـــلت هذه الهجمة في تحقيق غايتها، بل وعادت بنتيجة عكسية ،حين انتهى المؤتمر بموقف قوي مؤيد لمطالبنا وحيث خرجت من المدرج الذي شهد وقائع المؤتمر والاعتداء ،بعد أن صـــغنا توصياته والبيان الصادر عنه ،وبعد أن ضمدنا جراح بعـــض زملائـــنا المصابين ،لمحت سهام صبري في باحة الكلـــية قرب مواقع تعليق صحف الحائط الشهيرة وقد تجمع حولهـــا نفر من هؤلاء الحاقدين الموتورين ، يصفعونها بعنف ويضـــربونها ، بل وهي تقاوم صامدة ببسالة عدوان سبعة أو ثمانـــية وحـــوش آدمـــية مدفوعة ومحمية دون أن تهرب من المواجهـــة أو تطلب الرحمة من جلاديها . . لكنها تحملت في صـــبر وجلـــد كبيريـــن ما نالها من أذى ،مدفوعة بفكرة بالغة الذكـــاء مفادهـــا أن تتحمل ما يقع عليها من اعتداء أمام باقي زملاء الكلية حتى تكشف للطلاب العاديين (المحايدين) من هو الطـــرف المعـــتدي علـــيه وحتى لا تمنح عناصر " الجماعة الإســـلامية " المدفوعـــة من الأمن ،الفرصة لتحقيق أغراضها الدنيـــئة، ورغـــم ذلك فحين لمحتها في هذا الموقف العصيب جريت إليها وألقيت بنفسي دون أدنى تقدير لعواقب هذا السلوك التلقائـــي بيـــنها وبين المعتدين ،لأحول بينهم وبينها ،فنالني ما نالنـــي من ضربات حتى صاح صائحهم فتوقفوا . كان "عدلي مصـــطفى" ،أمـــير الجماعة ،الذي طلب مني بصوت جهوري

الابـــتعاد لأنه على حد قوله يحترمني ولا يريد أن يؤذيني بل هو يريد فقط بنت " . . . . . " هذه !!.

فلـــم يكن وارداً أن يغفروا لفتاة جامعية أن تشارك في قـــيادة العمل السياسي وحسب ، و إنما أن تفعل ذلك من مواقع اليســـار بالـــتحديد فهـــذه هـــي الطاقة الكبري!!. فلما رفضت الانصياع له ،وجادلته ،مرت بضع دقائق كانت كافية لكي يهل عليـــنا جمـــع مـــن زملائنا . . لمحهم المعتدون فهربوا وهم يتوعدونـــنا ، وقامـــت سهام وهي تلملم حاجياتها وتنفض عن ثـــيابها "آثـــار العدوان" !!، وفي ذلك اليوم وبعد دقائق محدودة خرجت إلى الشارع أمام الكلية في طريقي لعبوره باتجاه الحرم الجامعـــي ،حيـــث كـــان موعـــد اجتماع الكوادر الديمقراطية بالجامعـــة . ما كدت أقطع نهر الطريق حتى فوجئت بمجوعة أخرى من البلطجية ،من عناصر الأمن المركزي ،التي ترتدي زيـــا رياضـــيا مدنـــيا ،تحـــيط بي من كل جانب ،كتل بشرية ممســـوحة الملامح كارهة التقاطيع أحاطوا بي ، ومارسوا في جســـدي هواياتهم الهمجية ، وتركوني مضرجا بدمائي وفروا كالجرذان هاربين ! .

لـــم أفـــق إلا لـــيلا ووجدت نفسي محاطا بوجوه العديد مـــن الـــزملاء والزمـــيلات الذين أخذوا يهنئونني بالسلامة ، كنـــت قـــد فقـــدت الوعـــي تحـــت وطـــأة الضربات العنيفة المفاجـــئة ،وحيـــن هـــرع زملائي لنجدتي وجدوني على هذا الحـــال ،فـــتم نقلـــي إلى مستشفى " قصر العيني" حيث كشف علـــى الأطـــباء خائفيـــن مـــن تعرضي لارتجاج في المخ من جراء الضربات المكثفة على .. الدماغ لكن الله سلم.

اســـتمرت علاقـــة الـــزمالة الحمـــيمة بســـهام صبري طـــوال ســـنوات النصـــف الأول من السبعينيات وحتى وقائع

١٨، ١٩ يـناير عـام ١٩٧٧ ،كـان زواجهـا بزميلنا توفيق ابـن الأسـرة الفلاحـية البسيطة قد اعترضته مشاكل الحياة اليومـية والظـروف الاقتصـادية الصعبة وضغوط المجتمع، الـذي كـره أن يفسـح مجـالا فـي صدارته لهذه الإنسانة النبـيلة الواعـية المناضـلة المعطاءة ،والتي دفعت ثمنا غاليا لمـا آمنـت بـه واعـتقدت فيه ولم تتراجع عن مبادئها رغم المكـاره وعظـم التكالـيف ،ووقـع الانفصال بين الإنسانيين الرائعيـن : سـهام ومحمـد ،وانتهى ذلك الزواج الرومانسي الـذي كـان يلـيق بأفكارنـا وتحدياتنا ،حتى ولو لم يستمر، ورحـل محمـد توفـيق بعـد سنوات إلى باريس حيث تزوج مـن سـيدة فرنسـية أقـام معهـا في قرية صغيرة بالجنوب الفرنسـي وأنجـب مـنها واستقر به المقام حتى الآن هناك، وقـد زرتـه عـام ١٩٨٢ وعشـت معـه ساعات مشحونة بالعاطفـة والـدفء قـبل أن أرحـل والدمـع فـي عيوني، مسـكونا بهواجـس ثقـيلة أنـي أودع مـرحلة مـن أجمل مـراحل عمـري وأنـي لن أرى توفيقا الرائع مرة أخرى . . . وهو ما حدث حتى الآن.

أمـا سـهام، فقـد تقلبـت بهـا الأحوال و الدروب ، وقذفـتها حـوادث الزمـن من مكان إلى مكان، التقينا مرة أو مرتيـن علـى امـتداد العقديـن الأخيريـن وتواعدنـا على الاتصـال والـتحادث . . وقـد منحـتها أرقـام تليفوناتـي وانتظرت . . لكن للأسف الشديد لم يتم اللقاء .

والآن حيـن نحتفـي بذكـرى هـذه الإنسـانة النبيلة والمناضـلة الكبـيرة رمـز جيلـنا ، وهـبة الشعب للوطن ،فإنـنا فـي المقـام الأول نحتفـي بقـيم خالدة من قيم الوطنـية والـبطولة نقدمهـا لأبناء مصر من الأجيال الجديدة

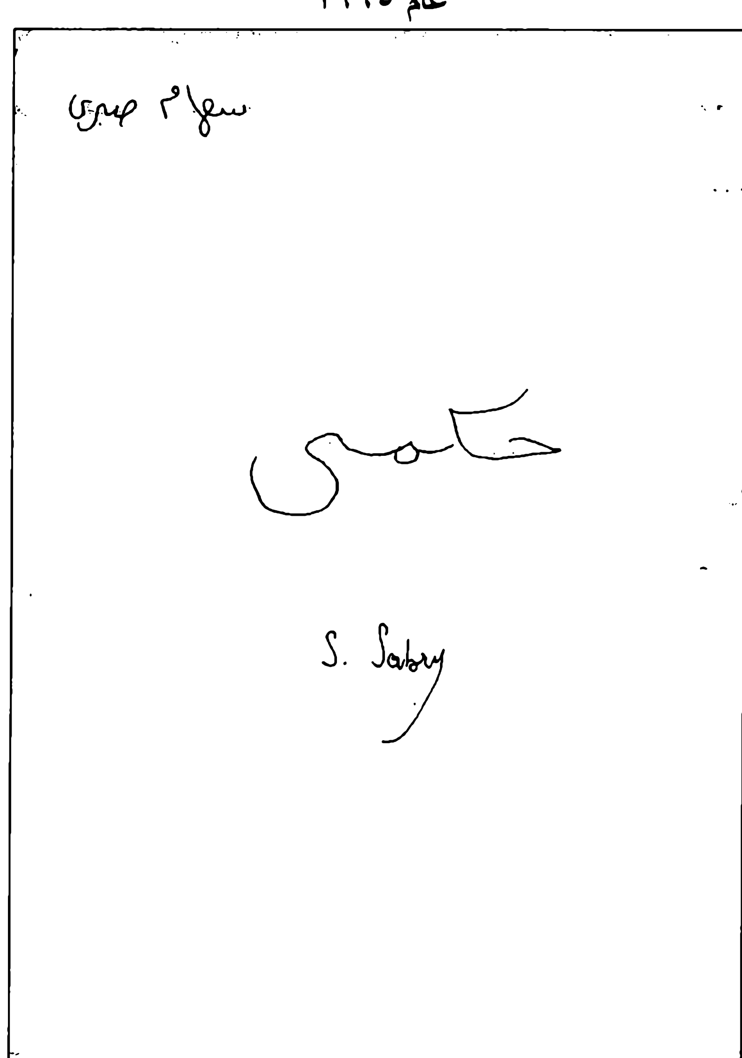
الذيــن يفــتقدون القــدوة، ويتلفــتون بحثا عن نموذج للاقتداء دون جدوى.

فــي زمــن الفســاد والخــيانات وضــياع الأمــل ، و النهــب المــنظم لــثروات الوطــن ، تمــثل ســهام صبري ونظــرائها مــن شــهداء الحــركة الوطنــية والديمقراطــية المصــرية مــنذ فجــرها المشــرق وحــتى الآن ،منارات لا ينطفــئ إشــعاعها ،وأوســمة على صدر بلادنا تمنحها القيمة والــرفعة ،وتثــير فــي أعطافنا الحماسة وقيم العطاء والبذل، من أجل الشعب والوطن .

ولســهام صــبــــــري فــي نهاية المطاف ، الراحلة الباقــية ، أحــنى هامتــي احــتراما لذكــرى الأخت والرفيقة المناضــلة ، والزمــيلة الباســلة ، وأتشرف أنني عرفتها عن قــرب ، وعاصــرتها وأعجبــت بهــا .. إنسانة ومناضلة، وأشــهد لهــا وبهــا أن مصر لم تعقم يوما وإن الوطن القادر على منحنا مثل سهام صبري مقدر له ألا يموت أبداً.



عام ١٩٦٥



* يقاس مقدار خيانة الزوج للزوجة بمقدار وفائها هي له

أغسطس ١٩٦٥

* هناك أقوال إذا سمعتها تلفت وأخرى إذا سمعتها ندمت وثالثة إذا سمعتها تعلمت

١٧ - ١١ - ٦٥

* اصمت لتفهم وتكلم لتعبر وتعلم لتحيا

٢١ - ١١ - ٦٥

* العاقل هو الذي يخرج دائما من المعارك منتصرا سواء ماديا أو أدبيا

١٧ - ١١ - ٦٥

* لا تغير رأيك لمجرد اجماع الناس على أنه خطأ وإنما لاقتناعك أنت أنه خطأ.

٢١ - ١١ - ٦٥

* الابتسام هو أول علاج لكل الحالات

٧ - ١٢ - ٦٥

* يجب أن تسع عدد غرف قلبك كل الناس وليس هناك مانع أن تعطي شخصا منهم شقة كاملة

٩ - ١٢ - ٦٥

* أخطأ من قال "من شب على شيء شاب عليه" لأن الذي يشب على شيء يعرف أنه خطأ يجب أن يفلح في إصلاحه

وإلا فما الفرق بينه وبين الحيوان ؟

١٤-١٢-٦٥

* إننا لا نستطيع أن نعترف بكل الحقائق

١٤-١-٦٦

* أن تكذب على الآخرين : هذا شيء فظيع أما أن تكذب على نفسك : هذا الذي أفظع من ~~الفظيع~~ الفظاعة.

١٤-١-٦٦

* إن أطيب الناس الذين يكونون أحياناً أشرهم وأذكى الناس الذين يكونون أحياناً أغباهم وأقواهم الذين يكونون أحياناً أضعفهم

١٢-٢-١٩٦٦

* إنه من السهل جداً اتخاذ القرارات ولكن الصعب هو تنفيذها بدقة وأمانة.

١٩-٢-٦٦

* ليست الجريمة ذنب يعاقب عليه إنما مرض يعالج منه

٢١-٢-٦٦

* الذي يقول أن الخيال أحلى من الواقع كالذي يحاول أن يطير دون أجنحة

١٤-٥-١٩٦٦

* لو قلنا أنه يجب جمع مرضى السل وسجنهم حتى لا ينقلوا العدوى لأخيارهم لاتهمنا

هذا بعمل جرائمي بشع ولو قلنا أنه.
يجب شنقه المجرمين لا تصف هذا بمنتهى
العدل ولكن ما الفرق بين مريض السل
والمجرم. كلاهما أصيب بمرض يصعب
الشفاء منه.

١٤ - ٥ - ٦٦

* الغضب كالنار إن لم تطفئها أحرقتك

٢٠ - ٥ - ٦٦

* لا يمكن أن يكون الحب أعمى لأنه هو الذي
يجعلنا نبصر

٤ - ٧ - ٦٦

* إذا عرضت رأيك لشخص يملئ
الصدر آذانه وعقله. فإنه صوتك لن
يستطيع المرور خلا لزمه.

٢٥ - ١٠ - ١٩٦٦

* تعريف الجمال: أنه شيء ~~يبهر~~ يتجلى
له كل ذرة من قلبك وعقلك فلا تقدر على تعريفه

٩ - ١١ - ١٩٦٦

* الحياة لا تطلب منا أكثر من أن نحيا ولكننا
دائما نطلب منها أكثر من ذلك

١٢ - ١١ - ١٩٦٦

* لا شيء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم

١٣ - ١١ - ١٩٦٦

* إن صمت العالم أجمع لا يستطيع أن يكتم صوت ضعيف.

سجن مصر ٢٣ - ١١ - ٦٦.

* ما دام هناك حتماً بداية للمتاعب فإنه يوجد حتماً نهاية لها.

٢٣ - ١١ - ١٩٦٦

* العاقل يقي ماله بسلطانه ويقي نفسه بماله ويقي دينه بنفسه.

قالوا هذه الحكمة

* إنما البطولة الحقيقية أن تحيا سعيداً ~~[illegible]~~ والتعاسة تحيا فيك

٦ - ١٢ - ١٩٦٦

* إذا كنت سعيداً فما أجمل الضحك!
وإذا كنت تعيساً فما أنفع الضحك!
~~[illegible]~~ وإذا كنت سوياً فما أنسب الضحك!

٧ - ١٢ - ١٩٦٦

* إن الأوقات السعيدة تمر بنا في لحظات حتى لو كانت شهوراً طويلة.. إنها الورود التي يزرعها القدر في صحراء الحياة.. إنها ينابيع الماء العذب التي لا تتفجر إلا نادراً.. إنها كالنغم [illegible] الجميلات، ما أحلاها [illegible] [illegible] تطير بعيداً وتترك [illegible] عند هبوطها

تبحث عن أثرها

٢٩ - ١١ - ١٩٦٦

* حب الدنيا تبادلك حبا بحب، ولا تسخر حتى تسخر منك.

١٢ - ١٢ - ١٩٦٦

~~[illegible]~~

~~[illegible]~~

~~* الحب سلاح الشباب~~

* الأخلاق سلاح النفس
والمبدأ سلاح العقل
والحب سلاح الشباب

٣١ - ١٢ - ٦٦

* إذا كان الزمن يعطينا كل يوم صفحة جديدة بيضاء فلماذا لا نكتب فيها أحلى الكلام

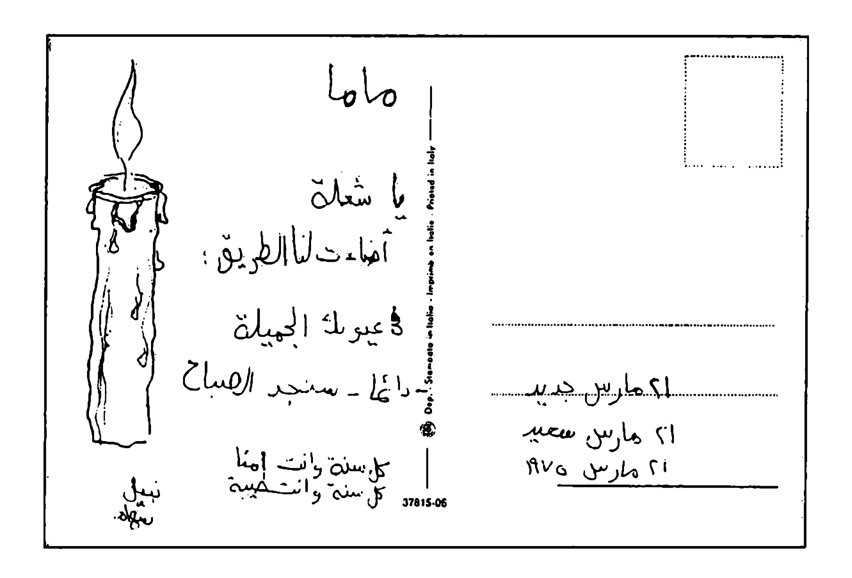
٨ - ١ - ٦٧

* بعض الأشياء نجدها حينما نكف البحث عنها

٢٢ - ٦ - ٦٧

أوسع الأبواب تفتح للحمار المحمل بالذهب

عام ١٩٧٥



ماما
يا شعلة
أضاءت لنا الطريق:
في عيونك الجميلة
دائماً - سنجد الصباح
كل سنة وانت أمنا
كل سنة وانت حبيبة
نبيل
Dep. · Stampato in Italia · Imprimé en Italie · Printed in Italy
37815-06
٢١ مارس جديد
٢١ مارس سعيد
٢١ مارس ١٩٧٥

عام ١٩٨٣

أحبوا أعدائكم
سواء أعجبكم ذلك
أم لم يعجبكم

أحبوا من يؤذيكم

فليس هناك طريق أخرى

وكل طريق آخر مهما طال سوف يعيدكم إلى
هذه النقطة
مع مرارة

ولكن أحبوا أعدائكم
باركوا لاعنيكم

قراءات وروئ

في القرآن الكريم

تقسيم الآيات

قد يمكن تقسيم وتبويب سور وقد يمكن الآيات ويختلف
والله أعلم. كذلك هناك دورات في آيات داخل [illegible] سور . منزل
ترتيب القرآني بعد أن نزل القرآن .

* الكتاب والكتب
* الذين آمنوا
* الذين كفروا
* تشريع
* الجحيم -
* الجنة - تبشير
* الله - هو - والملائكة
* تبشير الأنبياء
* [illegible] أحكام
* النفس تخاطب الرب
* يا أهل الكتاب
* الساعة
* أمة الإسلام

الله

1.3. الرحمن الرحيم

1.4 مالك يوم الدين

2.22 الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من
السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم
فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون

هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى
2.29 إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم

ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض
2.107 وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير

2.163 وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم

وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع
2.186 إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون

2.244 ان الله سميع عليم

2.245 والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون

2.254 الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم
له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده

إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم	2.254
لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير	2 284
الله لا إله إلا هو الحي القيوم (2-254)	3-2
إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء	3-5
هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم	3-6
إن الله لا يخلف الميعاد	3-9
شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم.	3-18
والله لا يهدي القوم الظالمين	3-86
ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (2.284)	3.129
بل الله مولاكم وهو خير الناصرين	3-150
والله عليم بذات الصدور	3-152

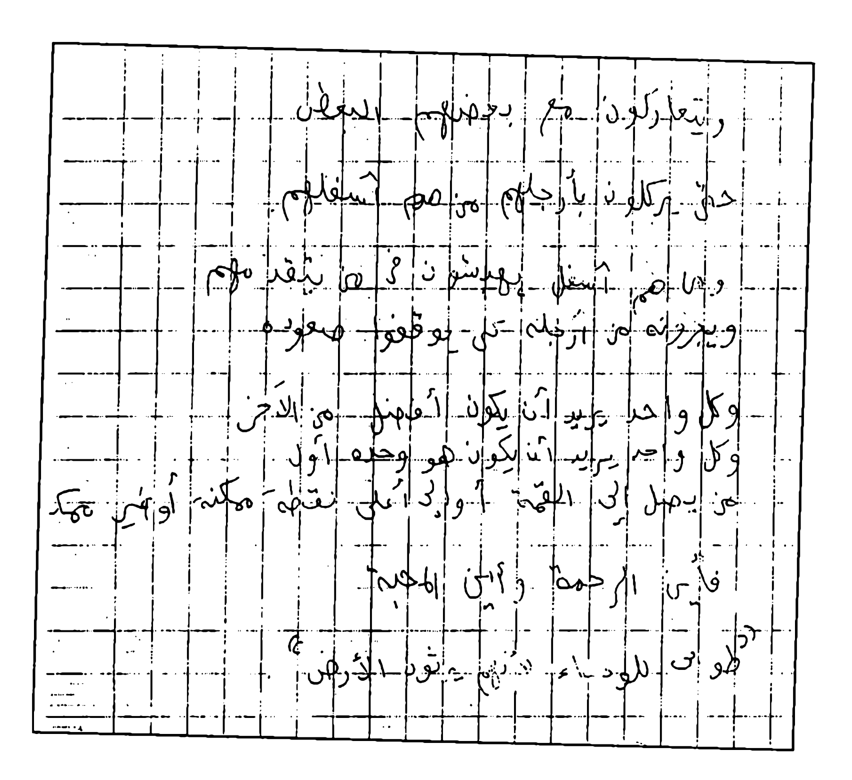
عام ١٩٩٧

أعوذ
بالله
من
الشيطان
الرجيم
❀
بسم
الله
الرحمن
الرحيم

الم ❀ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين ❀ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون ❀ والذين يؤمنون بما
أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم
يوقنون ❀ اولئك على هدى من ربهم واولئك هم
المفلحون ❀

الم ❀ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين
❀ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون ❀ والذين يؤمنون بما انزل إليك وما
أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ❀ اولئك على
هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ❀

أرى في العالم جبل
له قمة عالية
وكل البشر يتسلقونه



ويتعاركون مع بعضهم البعض
حتى يركلون بأرجلهم من هم أسفلهم
وبما هم أسفل يهرشون في من يتقدمهم
ويجرونه من أرجله حتى يوقفوا صعوده
وكل واحد يريد أن يكون أفضل من الآخر
وكل واحد يريد أن يكون هو وحده أول
من يصل إلى القمة أو إلى أعلى نقطة ممكنة أو أخير ممكن
فأين الرحمة وأين المحبة
طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض.

عام ١٩٩٩

أعط الحب

مقابل الكراهية

تكن أنت نقطة نور

يقول هدى..

لا تقاوموا الشر

بل من لطمك إبتسم له

واهده وردة

تكن أسمى من العدو

وتلطم من دعاه للأطماع

فتكون حينئذ من الحرب الحقيقية

الوحيدة وتنتهي.

لأنه "هو" قد انتصر
فقال : إغفر لهم يا أبتاه
لأنهم لا يعلمون ما يفعلون
وأين قالها !؟!!!

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والإكرام

عام ٢٠٠٢

يراودني أن أؤلف كتابا عن قصة حياتي

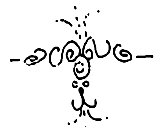
فسوف يكون ذلك كتابا هاما به عبرة

ولكن أيضا لا أريد أن أنشر
لا أحب أبدا أن أنشر

ولكن من المهم تسجيل قصة كفاحي
فهل أدون منها لمحات أو فصول
في مذكراتي ؟ ولكن
هذه حكاية طويلة
ومتشعبة

عموما أتركها للظروف
ولكن المؤكد أنني أبدا لن أنشر أي شيء

فهذا ليس لي



Jeudi 14 Mars
2002

الإحتفال هذه الأيام بالذكرى
السنوية العشرين لتركى الإتحاد
السوفييتى

الخطوة التاريخية التى أقدمت
عليها بشجاعة تطاول السماء ولا
تهبها إلا السماء لأوجه بإذن الله
ضربة ثلاثية قاتلة إلى أكبر
إمبراطورية شر إلحادية على وجه
الأرض. وكان ذلك ليس الآن
ولكن من عز قوة وجبروت
هذه الإمبراطورية

ومنزلة متوسطة بولاك

وأعيد لو عادت الأيام

إنتصار الروح على الجسد

انتصار النور على الظلام

و مع يومها ورغم كل الأعاصير
ما زلت أصعد درجات السلم
الروحى

وأنمو

وأكثر فأكثر تتفتح عيونى
وتتبلور مخيلتى

عشرون عاما من الكفاح الحقيقى

الكفاح فى الله

يا رب قد مركبى
إلى البر الذى يتباعد
يتأرجح ولا يتكرر

Mardi 26 Mars 02

Freedom is just another word for nothing left to lose

النور هو النور

وأما الظلمة فهي الظلمة

ليس المهم أن يكون الإنسان ماركسيا

أو مسلما أو بوذيا أو مسيحيا

ولكن المهم هو أن يكون ماركسيا شريفا

أو مسلما شريفا أو مسيحيا حقا

فإن الإيمان بالعقيدة الحقة من القلب
وبالإخلاص وبالعطاء دون إنتظار reward
فهذا هو الحق

فأما درجات الإيمان فهي في صعود
وأما الحق فهو في انبلاج

وأما السلم فذلك هو ما نبحث عنه
ليل نهار
في المظاهرات صباحا وفي القراءة مساءا

وفي البحث المتأمل طوال الوقت

ومن درج إلى درج

قادني الله إلى الصعود إلى

صورته المباشرة

الساطعة

وهناك ولأنني أبحث عن النور

وجدني الله وأراني الخطوة التالية

وفتح عيوني العطشى للنور

منذ سن الثالثة عشرة *

حيث أنني في سن الثالثة عشرة

بدأت أبحث عن الحق وقررت لذلك وقتها أن أقرأ كل الكتب

في العالم.

بل أن رأسي تؤلمني وها هي عشرون
عاما من العذاب وعشرون عاما من الصعود
وعشرون عاما من الإنتصار في آن واحد

يا رب
انقذني
انقذني يا رب

يا رب أنا لا أطلب سوى الشهادة
فخذ روحي صباح غد
قبل أن تتفتح عيناي
على صباح آخر

يا رب طلبت الشهادة حتى صمت
عن الماء والطعام لمدة ثمانية أيام

إن أول خطيئة هي
أنا
وثاني خطيئة هي
أنا طيب
وثالث خطيئة هي
أنت لست كذلك

وبعدها تستعر الأرض